المحاضرة الثالثة : الوقائع الاقتصادية في ظل النظام الإسلامي

1-مدخل عام للعصر الوسيط في الشرق و الغرب :

لقد أطلقت تسمية العصر الوسيط على الفترة التي تتوسط العصر القديم و الحديث حل بالغرب النظام الإقطاعي في حوالي 476 م عندما سقطت روما في يد القبائل الجرمانية مما يعني إن العصر الوسيط سيكون من سنة 500 م إلى 1500 م عند بداية عمليات الاستكشاف الجغرافية و حينها انقسم الإقطاع إلى مبكر قائم على أنقاض العبودية مباشرة و إقطاع متأخر جاء نتيجة هيمنة علاقات الإنتاج الإقطاعية في الريف الأوربي

أما بالشرق فالأمر مختلف لقد كان لبعثة محمد "ص" في 610 م أي بعد مولده صلى الله عليه وسلم في الثاني عشر من ربيع الأول عام الفيل أي سنة 570 ميلادي و الذي قدم للعالم الشريعة الإسلامية يلخصها سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم بالحديث المشهور بالإيمان و الاسلام و الإحسان .[1] فقدم للعالمين الإيمان لتطمئن القلوب و قدم الإسلام كي تهنئ نفوس الناس جميعا و قدم الإحسان للعالمين جميعا كما يقول صلى الله عليه وسلم في حديث آخر إن الله يحب الإحسان و في حديث آخر إن الله يحب الرفق في الأمر كله ، قدم شريعة لم و لن تنقضي عجائبها إلى يومنا هذا و إذا ما قدمنا تلك التجارب التطبيقية سواء النموذجية للرسول صلى الله عليه وسلم أو الخلفاء الراشدين أو تلك النماذج الأخرى غير المعيارية كبني أمية و العباسيين و الفاطميين سنقدم وقائعها الاقتصادية في إطارها الزمني و التمايز واضح بيننا حيث هم يسمونها عصور الظلام (الغربيين)لكن بالنسبة إلينا هي عصر النور[2]

20-عن .....جاء الى رسول الله "ص" رجل شديد سواد الشعر شديد بياض الثياب :عجبوا له يسأله ويصدقه : قال مالايمان :ان نؤمن بالله و ملائكته و كتبه ورسله و اليوم الآخر و القدر خيره وشره ، فقال صدقت ،و قال ما الاسلام ، فقال :ان تشهد ان لا اله الا الله و ان محمدا رسول الله و تقيم الصلاة و تؤتي الزكاة و تصوم رمضان و تحج البيت ، قال صدقت و قال ما الاحسان ، قال ان تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك

21-ولد الهدى و الكائنات ضياء و فم الزمان تبسم و ثناء
يوم يتيه على الزمان صباحه و مساءه بمحمد وضاء
و إذا رحمت فأنت أم أو أب هذان في الدنيا هما الرحماء
بك يا ابن عبد الله قامت سمحة بالحق من ملك الهدى غراء
داء الجماعة من ارسطوطاليس لم يوصف له حتى اتيت دواء

قصيدة "ولد الهدى" أمير الشعراء أحمد شوقي موسوعة الشعر العربيhttps://www.aldiwan.net>poem20977

2: الحياة الاجتماعية و الاقتصادية قبل الإسلام:

كان العرب يعيشون في ظل نظام القبيلة و العشيرة عند انحلال النظام المشاعي و بداية النظام العبودي و كان في الأعراب من الأخلاق ما هو جيد و من عاداتهم السيئة في الجاهلية وأد البنات مدفوعين بأسباب اقتصادية و اجتماعية كالخوف من الفقر و العار و في هذا يقول الله تعالى واصفا إياهم " و إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا و هو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون "[3] و يوجد أيضا في عادات العرب السيئة قبل الإسلام حرمان المرأة من الميراث و كانوا يدفنون موتاهم في بيوتهم و بملابسهم و كانوا يعقلون ناقته عند قبره حتى تموت و جاء الإسلام و نهاهم عن كل هذه العادات السيئة و غيرها كثير (كشرب الخمر و الإستقسام بالأزلام و لميسر ...الخ)و كل هذا لما فيها من أضرار اجتماعية و نفسية و اقتصادية ، وقد كان الاقتصاد في مكة تجاريا و في المدينة والطائف زراعيا قائم على استغلال الضعفاء و العبيد و ذلك حتى القرن السادس الميلادي و في هذه المرحلة وصلت القبائل العربية إلى أطراف الجزيرة و اتخذ العرب موقفا محايدا اتجاه القوى الكبرى آنذاك " الفرس و الروم " و كان لبعثة محمد صلى الله عليه وسلم اثر كبير على في انتشار تلك القيم الإنسانية كتحرير المرأة [4] و تحرر العبيد [5] و إشراك الضعفاء في مال الأغنياء [6] و جاءت كلها كتشريعات قرآنية مدعومة بالسنة النبوية

3 : مدخل إلى نظام الاقتصاد الإسلامي :

إن الاقتصاد الإسلامي يقوم على ركيزتين هما العقيدة و الأخلاق فقد يتساءل احد و يقول ما دخل الاقتصاد في الأخلاق فنقول هنا إن الرأسمالية و في أزمة 2008 أزمة الرهن العقاري يقول الرئيس الامريكي أوباما ان الرأسماليين و المستثمرين كانوا جشعين و في تصريح آخر لبوش الابن الرئيس الامريكي الاسبق ان المستثمرين كانوا غير مسئولين . ان الاسلام ليس نظرية بل هو شريعة إلاهية و لذلك لا يمكن مقارنته بالنظريات الوضعية كالرأسمالية و الاشتراكية بسبب إن

---

[3] -القرآن الكريم ، سورة النحل ، الاية (58-59)

[4] -المرأة لا تقتل و ترث بل أكثر من ذلك هنالك صورة كاملة للنساء في القرآن الكريم

24-يوجد الكثير من الايات في القرآن الكريم تأمر بتحرير العبيد كالآية 2-3 من سورة المجادلة و الآية 6 من سورة الحشر والآية 29 سورة المائدة

[6] -للضعفاء الحق في مال الاغنياء عن طريق الزكاة و الصدقات...الخ و الزكاة هي عبادة و حق (قانون) محدد في القرآن الكريم

هذه النظريات ترتكز على فروض و مبادئ قابلة للنقض و التعديل إن الإسلام فانه جاء بأصول عامة ثابتة قياسية صالحة لكل مجتمع و كل زمان و مكان و الشريعة الإسلامية قدمت حلولا نموذجية لمسائل اجتماعية و اقتصادية مرنة كأن نقول سعر الفائدة 0% لا ربا في الإسلام رأس المال لا يلد مالا و في مسألة أخرى اجتماعية و اقتصادية تكفل الله بتحديد القيمها التركات و المواريث فهي محددة و مفصلة في القرآن في حين أنه في اروبا الرأسمالية استمرت مشكلة الإرث إلى غاية القرن 16 حيث كان الابن البكر يأخذ كل التركة لوحده و الأنثى كانت تحرم منها و في إطار الرأسمالية الغربية يجوز إن يوصي الميت بتركته كلها أو أغلبها لحيوان أو ناس آخرين و يحرم أبنائه ...الخ

و تتضح أصول الاقتصاد الإسلامي بصيغة عامة بمنهيات و أوامر وواجبات بالقرآن و السنة

4 : موضوع الاقتصاد الإسلامي :

سنتطرق في موضوع الاقتصاد الإسلامي إلى تلك العناصر الأساسية العامة المحددة كوضع الثروة و العدالة الاجتماعية و الحرية في إدارة الاقتصاد و المجتمع

4-1-الثروة في الإسلام : هي جميع الأصول المادية [7] و المعنوية [8] و هي ملك لله و الإنسان مستخلف [9] فيها يستخدمها فيما ينفع و لا يضر للفرد و الجماعة و هي أمانة يسأل عنها الإنسان يوم القيامة

4-2- العدالة الاجتماعية : إن العدالة الاجتماعية في الإسلام ليست شعارا و إنما هي فريضة دينية و اجتماعية و اقتصادية و قد ورد ذكرها في النصوص القرآنية "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم و تزكيهم بها "[10] و في أية أخرى يحث الله سبحانه و تعالى على تحرير العبيد "فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة " [11] و في أية أخرى إن في أموال المؤمنين حقوق للضعفاء " الذين في

---

[7] - هي كل الأصول ذات الطبيعة المادية كالأرض و المال و المباني .....الخ

[8] - هي الأصول غير المنظورة كشهرة المحل و اسم الشركة و اسم منتج معين

[9] -بمعنى هو خليفة الله في الأرض مستخلف في ماله و عياله بما أمره الله و بما يقدر

[10] - قرءن كريم سورة الآية

[11] - قرآن كريم سورة البلد الآية 13-14 ص 594

أموالهم حق معلوم للسائل و المحروم " [12] و في شأن العدالة ذاتها يقول الله تعالى " لا يجرمنكم شنآن قوم على أن تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى "[13]

3-4–الحرية في إدارة الاقتصاد و المجتمع :

إن الحرية في الإسلام ليست هي الحرية بمعنى الليبرالية في الرأسمالية فالحرية هنا مشروطة و مؤطرة بمبادئ و التزامات حقوق و موانع يجب الوقوف عندها و ما عدى ذلك فاجتهاد

4-3-1-مبدأ الالتزام بحقوق الفقراء و الضعفاء و العبيد : لقد عدد القرآن و السنة حقوق الفقراء و الضعفاء و العبيد و ما على الحاكم و المحكوم فهم إخوانكم في الدين حيث بدأت عملية و العبيد[14] و يشرعها و يجعل منها أعظم القربات عند الله بان للرسول صلى الله عليه و سلم يقول " اللهم احيني مسكينا و أمتني مسكينا و احشرني في زمرة المساكين "

4-3-2-مبدأ منع الاحتكار: و قد عرفه مجموع الفقهاء بتعريفات متقاربة تأتي في معنى"حبس التجار طعام الناس و أقواتهم عند قلتها و حاجتهم إليها ليرتفع السعر و تغلي على الناس و قد اتفقوا في الجملة على انه لا يجوز إذا اضر بالناس و دليل تحريم الاحتكار يأخذونه ما أخرجه مسلم عن النبي صلى الله عليه و سلم "لا يحتكر إلا خاطئ " و قد نهى النبي صلى الله عليه و سلم أن يحتكر الطعام و الاحتكار ليس الشراء عند الرخاء و إنما الشراء عند الشدة بغية رفع الأسعار و هناك من العلماء من زاد في الاحتكار كل ما يحتاجه الناس و يتضررون بحبسه و هناك من العلماء من أعده من الكبائر

5-الوقائع الاقتصادية و الاجتماعية في صدر الإسلام الأول :

في ظل المبادئ و الأصول الإسلامية كانت الوقائع في صدر الإسلام الأول على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم و عهد الخلفاء الراشدين من بعده حيث حل مصطلح الأمة الإسلامية مكان مصطلح القبيلة أو العشيرة والعرب الذين كانوا أشتاتاً بين الأمم أصبحوا قادة بأمة تنشر و ترفع مبادئ رسالة جديدة تدعوا إلى الحرية و الأخوة و

---

[12] -قران كريم سورة المعا رج الآية 24-25 ص 569

[13] - قران كريم سورة الآية

[14] 33-"فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة " "و الذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالو فتحرير رقبة من قبل إن يتماسا ذلكم توعظون به و الله بما تعملون خبير "

العدالة الاجتماعية الأمر الذي أحدث تطورا اقتصاديا و اجتماعيا نورده مختصراً كما يلي :

5-1- التطور الزراعي :إن الزراعة كانت لدى العرب في المدينة و الطائف تستخدم العبيد و الضعفاء في الزراعة و رعاية الحيوان و بمجيء الإسلام أطلقت الحريات و تحررت المبادرات و توسعت المساحات الزراعية و توفرت الأيدي العاملة الرخيصة و انتشرت الأسواق واستصلحت الأراضي حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من "من أحيا أرضا مواتاً فهي له"حديث صحيح ورد في الألباني . وتطورت تقنيات السقي و نقل المياه و الري فاستفادت الأمة من تجارب الآخرين فأدخلت زراعات جديدة كزراعة القطن و قصب السكر و التمور و الأرز و التوت وأشار فاكهة أخرى و تم جلب نباتات عديدة و حيوانات وهذا لأجل تلبية حاجيات السوق المتزايدة و المتسعة

5-2-التطور الحرفي البضاعي : إن المبادئ العامة للإسلام من حرية في العمل و إمكانية الإثراء و العمل الرخيص و من الحرية الفردية إلى العامة و الأمان الذي شاع في ظل الدولة الإسلامية أمور شجعت على الإنتاج من اجل السوق ليظهر الإنتاج البضاعي بعمل الأجير الذي وضع أساسه الرسول صلى الله عليه و سلم و ضمن له حقه حيث يقول "أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه "[15]

فتحسنت وسائل الغزل و النسيج للقطن و الصوف و الحرير و تطورت صناعة الزجاج و الزيوت و العطور و الصابون و المراهم و الجلود و السجاد و الموازين و الأواني و المعدات الحربية و تم إدخال الطواحين التي المدارة بالماء و الحيوان و لطحن الدقيق و استخراج الزيت و عصر قصب السكر و أقيمت ورشات الإنتاج الحكومية و غيرها و نشطت التجارة الداخلية و الخارجية

5-3- تطور العملة العربية (الدينار العربي):

بفضل توسع و تطور التجارة في البلاد الإسلامية و ضخامة السوق الذي يمتد من الأندلس غربا إلى القاهرة إلى دمشق و إلى سمرقند و لذلك أصبح للدينار قبولا عالميا مضطردا و ذلك بفضل ازدهار الزراعة و الحرف و الصنائع و تطور الإنتاج من اكتفائية من مكة و المدينة و الطائف إلى

15 -عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أعطوا الأجير .....أن يجف عرقه" رواه ابن ماحه و صححه الألباني و في حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم "قال تعالى: ثلاثة إنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بي ثم غدر و رجل باع ثم حرا فأكل ثمنه و يستأجر أجيرا ثم فاستوفى منه و لم يعطه أجره " رواه البخاري

بضاعي في كل القطاعات و ظهرت مراكز تجارية و مؤسسات مصرفية فتطورت تقنيات الضمانات المدفوعة بطريقة السفتجة فدخل الاقتصاد عامة في حالة من الازدهار أدت إلى ظهور أول نظام تداول نقدي عالمي أساسه الدينار العربي و الذي بقيت منه إلى يومنا هذا عملية تداول العملات العربية بهذا الاسم فنجد الدينار الجزائري و الدينار التونسي و الدينار الأردني و الدينار الكويتي

4-5 – التطور الاجتماعي : لقد كانت مكة تجارية و لهذا السبب كان التفاوت و الطبقية واضحة بها لكن تلك المناطق الزراعية كالمدينة و الطائف فقد كان أغلب أهلها مزارعين يعيشون حد الكفاف و كان شائعا أن يعملوا مع عبيدهم و بعد مجيء الإسلام أقر بوضعية التفاوت [16]في ظل إعادة توزيع الدخل بواسطة الزكاة و الصدقات و الخراج و الجزية و الغنائم و مع ضمان حقوق الضعيف و القوي في ظل عدالة رضي بها الغني و الفقير من غير حقد او حسد فالمسلمون كلهم إخوة و لكل ما عمل على إذابة تلك الفوارق و الطبقات خاصة في صدر الإسلام الأول

6- الوقائع الاقتصادية في العصرين الأموي و العباسي :

نجد إن أهم ما اتضح خلال هاتين المرحلتين الأموية و العباسية و التي بدأ من سنة 40 للهجرة إلى 232 ه هو إعادة تشكيل النظام الطبقي و ترسيخه عن طريق اتساع الملكيات و زيادة اعتمادها على العبيد و هذا ناجم عن ذلك الانحراف عن المبادئ الأساسية التي دعى إليها الإسلام و تحول الحاكم عن خدمة رعيته إلى خدمة نفسه و تحول بيت مال المسلمين إلى بيت مال الأسرة الحاكمة و هو ما ترتب عنه ما يلي لدى الأمويين و العباسيين بالترتيب

1-6 –الوقائع الاقتصادية في العصر الأموي 41ه-132ه :نقصد بالمرحلة الأموية تلك المرحلة الاقتصادية التي جاءت مباشرة بعد الخلافة الراشدة حيث جاءت الأهمية للقطاعات الزراعية و الحرفية و التجارية الداخلية و الخارجية كما يلي :[17]

1-1-6-القطاع الزراعي : لقد استمر القطاع الزراعي في التطور ليس بنفس الزخم السابق في عهد الخلافة الراشدة فزادت المشاريع الزراعية التنموية كالسدود و غيرها و تركز الإنتاج حول

---

[16]- " و رفعنا بعضكم فوق بعض درجات "

[17]-صادق الهادي ، **محاضرات من تاريخ الوقائع الاقتصادية** ،2017-2018 كلية العلوم الاقتصادية و التجارية و علوم التسيير جامعة سطيف(1)

الأنهار (دجلة و الفرات و النيل و الأنهار الأخرى) و ظهرت الملكيات الكبيرة و اختفت أراضي الصوافي [18]و تحولت إلى القطاعات و اختفت إيراداتها ضمن إيرادات الدولة و من ايجابياتها أنها امتصت البطالة في القطاع الزراعي و زاد الطلب الكلي و زاد العرض الكلي للإنتاج الزراعي و حين وصل عمر بن عبد العزيز إلى الحكم سنة 99 هـ إلى 101 هـ فقدم إصلاحات كبيرة للقطاع الزراعي فمنع تحويل الأراضي الإخراجية إلى عشائرية (قبلية)و قضى على أسباب تضخم تلك الملكيات الكبيرة على حساب المزارعين الصغار و قدم القروض للمسلمين و غيرهم و قام بمصادرة الملكيات الكبيرة لأفراد الأسرة الحاكمة و بصورة عامة اتسمت هذه المرحلة بتوسع و الانحراف عن المبادئ الأصلية مما نتج عنه فجوة كبيرة بين الأغنياء و الفقراء و اتضحت الطبقية الإقطاعية الزراعية المعتمدة على العبيد و صغار الفلاحين الأحرار و ظهر كبار الملاك مثل مسلمة بن عبد الملك [19]أمير العراق (102 هـ- 103 هـ) و خالد القسري (105هـ -120 هـ)و هشام بن عبد الملك (105 هـ -125 هـ)

6-1-2-القطاع الحرفي : ظهر العمران أو قطاع البناء و اخذ يتطور و تركزت الحرف المختلفة بوجود المواد الأساسية و استمرت تلك الحرف القادمة من الأمم من الأخرى كالعراق و مصر و فارس و الشام كصناعة الزرابي و صناعة الزجاج في مصر و صناعة ورق البردي و حرف أخرى كثيرة . و اعتمد هذا القطاع على الحرفيين و الأجراء و العبيد و إلى جانب هذا تطورت صناعة السفن (الحربية خاصة) و السفن التجارية و أنشئت لها منطقة واسط في العراق و بسبب عدم الأمان ارتفعت تكلفت المواصلات البرية و كانت ضعيفة

6-1-3- التجارة :و تنقسم التجارة في العهد الأموي إلى داخلية و خارجية فأما التجارة الداخلية فاتسمت بالضعف بسبب عدم الاستقرار السياسي و محدودية السيولة و انتشار الغش و انشغل العرب أصحاب الخبرة في التجارة و بالزراعة ثم بسبب ارتفاع معدل الضرائب إلى 33 % و بفعل تدهور الوضع السياسي أدى في النهاية إلى انحسار التجارة و دامت هذه المرحلة حوالي 43 سنة و أما حالة نمو الحركة التجارية فهي عند المرحلة المتوسطة من 77 هـ إلى 125 هـ وسببها الرئيسي الاستقرار السياسي و القضاء على السلبيات السابقة أما بالنسبة للتجارة الخارجية فشهدت مرحلة نمو و تطور خلال المرحلة 41 هـ -77 هـ و ذلك بسبب الاستقرار الأمني في الأقاليم

---

[37]-الصوافي :و هي أراضي تعود ملكيتها في الأصل إلى الدولة آنذاك و اختفت حدودها و ملامحها بعد احتراق ديوان الدولة (السجلات) التي توضح حدودها و مواقعها

[19]-بن طاهر حسين ،**مدخل إلى الوقائع الاقتصادية** ،دار بهاء الدين للنشر و التوزيع ، ص 51

الغربية و التوافق مع بيزنطة و في مرحلة ثانية من 77 هـ إلى 132 هـ شهدت انحسارا و تدهورا و هذا بسبب التدهور السياسي و الأمني و ضعف الاتصال

2-6 – الوقائع الاقتصادية في العهد العباسي :

تطور المجتمع العباسي في عدة نواحي و من ايجابيات تلك المرحلة يمكن ان نذكر ان عدد المدارس بلغ 30 مدرسة في بغداد و 20 مدرسة في دمشق بالإضافة الى أكاديمية الهندسة و ثلاث مدارس للطب و انشأ الرشيد بيت الحكمة و تمت ترجمة كل المؤلفات في شتى أنواع العلوم من جميع اللغات و تم الإنفاق على العلم بشكل غير مسبوق حتى أضحت بغداد مركز إشعاع حضاري و كان الطلبة المتفوقون يحصلون على منح للدراسة ايام الرشيد تراوحت بين 2000 إلى 4000 دينار شهريا . أما عن أهم النشاطات الاقتصادية فكانت مرتبة كما يلي :

1-2-6 القطاع الزراعي :

كان هذا النشاط يزخر بأعداد كبيرة من العبيد استخدموا مع الفلاحين الأحرار في استصلاح الأراضي و يتم استغلالهم فيما يشبه الإقطاع الزراعي و الذي كان للأثرياء و التجار دور كبير في انتشاره

2-2-6القطاع الحرفي :

ظهرت ورشات لصناعة الزرابي و النسيج و الصابون و الملابس و الأحذية و ورق البردي و القوارب و الأدوات الموسيقية و السكر و الصباغة و الحدادة و التجارة و صناعة ا لأسلحة و اشتهرت هذه المرحلة بالأقمشة القطنية بعلامة الموصلي و الدمشقي .

و كان للدولة ورش كبيرة نسبيا مثل دور الطرز و صناعة الملابس الرسمية و الإعلام و دور ضرب النقود (صك النقود) و خلاصة ما سبق أن هذه المرحلة اتسمت بصورة عامة بزيادة المظالم و توسع الفوارق و اتضاح الطبقية كتشبه الأمر بالإقطاعية الأوروبية لكن بدون انغماس علماء الاسلام و لا المساجد في خدمة هذه الإقطاعية و ذلك عكس ما وقع للكنيسة و أضحت الكنيسة اكبر إقطاعي في القرون الوسطى